# المسألة السابعة عشرة

## فى التحسين والتقبيح

ثم قال **عبد الله بن يزيد البغدادى** : أو ليس لو شاء العباد، لصنعوا الكفر إيماناً، والإيمان كفراً ؟!.. لأنه إنما هو صنعهم وجعلهم ، وتحسينهم وتقبيحهم ، والله لم يصنع ذلك ؟!.. يضيف إلينا، أن هذا قولنا – زعم – وقد كرر كلامه فى هذا الموضع من كتابه ، بأمرٍ بعضهُ يكفى " لأنا نعلمُ ما يريد فى أول كلمة يقولها ، ولابد لنا إذا كرّر، أن نكرر عليه، حتى يتبين الجواب .

**رد أحمد بن يحيى :**

**قدرة العباد على الفعل اختياراً :**

**قال أحمد بن يحيى** ، صلوات الله عليهما ، : إنا نقول إن العباد يقدرون على أن يحوّلوا الكفر إيماناً ، فيخرجوا من الكفر إلى الإيمان، الذى دعاهم الله إليه ، عز وجل ، وكذلك [1] هم قادرون على أن يحولوا الإيمان كفراً ، فيرتدوا عن الإيمان الذى أمرهم الله ، عز وجل ، بالدخول فيه، فيرجعوا عنه ، ويصيروا إلى الكفر، الذى نهاهم الله عنه ، إلا أن تقول يا **عبد الله بن يزيد البغدادى**، وإخوانك **المجبرة** أن أحداً من الناس ، لم ١٠٣ظ/ يرتد قط عن الإسلام ، وإن أحداً لم يخرج من الكفر ، وعبادة الأصنام ، ويرجع إلى الإيمان!..

وكفى بشهادة القرآن لنا ، على من آمن ، وعلى من ارتد ، فأى حجة لك فى هذا ، وأى قول قد كررت فيه ووكدته ، حتى [2] كأنك قد جئت بشئٍ تُبْهرّ به **أهل العدل** ، الحماة عن دين الله ، جل ثناؤه ، وأهل الذب عن الإسلام ! .

فهذا يوجبُ عليك أن العباد يقدرون على أن يجعلوا الإيمان كفراً ، والكفر إيماناً، وجعلهم هو أفعالهم التى لم يخلقها الله ، عز وجل عن ذلك ، وجبرهم فيها ، وقال

---

( ١ ) جاءت مكررة فى الأصل خطأ من الناسخ .

( ٢ ) فى الأصل : وكفا ... حتا .

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1] ، بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب ، والإعذار والإنذار؛ ثم قال : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[2].

**تعريف الحسن والقبيح :**

وأما قولك في التحسين والتقبيح ، فالحسن عند الله ، عز وجل ، فهو الحسن الذى لا ينكر ولا يخرج من التعارف ، ولا مما دعت إليه الرسل، ولا مما جاءت بها الكتب ، والقبيح : فهو القبيحُ الذى لا يجهل ، مما نهت عنه الرسل ، وحرَّمته الكتب ، فالقبيحُ مثل فريتك على الله ، أنت وأصحابك المجبرة من قولكم ، إن الله ، عز وجل ، قلتم ، خلق زنا الزانين ، وإلحاد الملحدين ، وشرك المشركين ، وقتل الأنبياء ، وأئمة الهدى ، وإتيان الأمهات والأخوات والبنات ، وأنه أراده ، زعمتم ، وخلقه وقدّره ، ثم غضب منه أشد الغضب، وأعد العذاب الأليم لفاعله، وذمّه فى كتبه ، وعلى ألسنة رُسله ، وتبرأ منه ، ونسبهُ إلى قوم بُرآء مما خلق ، فقال لهم فى كتابه : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[3]، وقال لهم : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[4]، وقال لهم : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[5] ، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[6]، وقوله : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) ﴾[7] ، ثم قال : ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾[8] ، فكيف ينتهون عن أمر أراده منهم ، وقضاه عليهم ، وخلقه من فعله ؟!!.

ثم قال : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[9]، فمما يتوبون، أيها الجاهل المغرور، ومما يستغفرون ، أمن فعله أم من فعلهم؟!..

---

( ١ ) سورة الكهف : الآية ٢٩ .
( ٢ ) سورة الكهف : الآية نفسها .
( ٣ ) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .
( ٤ ) سورة البقرة : الآية ٦١ .
( ٥ ) سورة المائدة : الآية ٧٣ .
( ٦ ) سورة النجم : الآية ٢٣ .
( ٧ ) سورة النجم : الآية نفسها .
( ٨ ) سورة المائدة : الآية ٧٣ .
( ٩ ) سورة المائدة : الآية ٧٤

وهو القائل ، عز وجل ، : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[1]، فاى حجة أقوى ، ويحك ، من أن يقولوا له يوم القيامة، ويحتجوا عليه، على قود قولك ، لو ١٠٤و/ تركتنا ياربنا من خلق الكفر فينا .

وإرادتك له منَّا ، وتقديريك له علينا ، لتسلمنا من نارك وعذابك المقيم ، الذى لا فكاك منه أبداً ؛ وقد أخبرتنا فى كتابك، أنك العدل الرحيم ، الذى لا يجورُ ولا يظلم، وأنك حسن الفعل.

فأخبرنا يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، لمَ يعذبهم ، وقد صدقوا فى حجتهم، فى زعمك ، وعلى قولك أن هذه الصفات كلها صفتهُ ، وأن ما حل بهم ، إنما هو من إرادته وفعله وخلقه ، وأنه لولا إرادته ، ما هلكوا ولاخرجوا من طاعة ؟!!..

فحسبك بهذا العمى عمى[2] ، وحسبك بهذا الجهل جهلاً ، وحسبك بهذا الكفر كفراً ، فلا فى القرآن نظرتم ، ولا العقول استعملتم ، ولا عن أهل العدل قبلتم ، ولا بقول الشعراء تأديتم ، فأنتم والبهائم فى منزلة .

قال الشاعر :

ألا أيها الملحد المجبرُ ... أراك لذنبكَ تستغفرُ

أتستغفرُ الله من فعله ... وأنت لله تارةً منكرُ

تقول : وجدتُ جميعَ الذنوب ... ربى على فعلها يجبرُ

ومنه إذا ما زنيت الزنا ... ، بزعمك، والخمر والميسر

أما لك عقلٌ ، إذا لم تكن ... ذنوبك منك ، فلا تغفر

أضفت القبيح إلى ربنا ، ... وما هو من خلقه منكر

وقهر اليتامى ، وسفك الدماء ... فلمَ عبتَ كفرَ الذى يكفرُ ؟!

إذا كان فاعله غيرهُ ... فما ذنبه عند من يفكر ؟!

وقتل الأئمة والمرسلين ، ... ولمَ عبت شكر الذى يشكرُ ؟!

---

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٢) فى الأصل : العما عما .

نسبتَ إلى الله كفرَ العباد، وكلَّ المعاصى التى تذكرُ
ولو قال ذا قائلٌ فى أبيك، ماكنت عن قتله تُقْصِرُ
ولو كان فيك ، لكذبته، وفى الله أنت به تجهرُ !
ألم تسمعوا قول أهل الجحيم فى دَرَكِ النار، إذا أُحضروا
وقد سألوا ربهم رجعةً لكى يعملوا صالحاً يؤجروا ؟
فقال : ألم أكُ عمرتكم وجاء النذيرُ، فلم تشكروا؟!
ألم يأتكم منذرٌ منكمُ؟ فقالوا: «بلى، جاءنا منذرُ».
ولكن غوينا بتكذيبهم وقلنا : من الرسل قد يسحرُ
فنودوا ، إذ اعترفوا بالذنوب بعداً وسحقاً لكم، فاصبروا
وقد أنكروا أن يكون القرآن عدلاً ، ولو أنهم فكروا
لدلَّهم أنه عادلٌ ولكنهم فيه ، لم ينظروا

وأما الفعل الحسن الذى سألت عنه ، فهو الإجابة إلى كتاب الله ، عز وجل ، وما دعا [1] إليه رسول الله ، صلى الله عليه ، من الطاعة التى قال الله ، جل ثناؤه ، : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

فهذا هو الحسن الذى سألتنا عن تفسير الحسن والقبيح ، فتدبر ما قلنا ، وما جاءك من حججنا هذه القاطعة لدعواك ، والحمد لله رب العالمين .

***

## فى الاسم والمسمى :

١٠٤ظ/ ثم قال **عبد الله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم ، فإن قالوا : إن الله [3] إنما جعل اسم الكفر واسم الإيمان ، ولم يجعل الإيمان ، ولم يجعل الكفر . فقل لهم

---

( ١ ) فى الأصل : دعى .
( ٢ ) سورة فصلت : الآية ٣٣ .
( ٣ ) جاءت مكررة فى الأصل .

عند ذلك : أخبرونى عن اسم الإيمان أهو الإيمان، وعن اسم الكفر هو الكفر؟!..

فإن قالوا: إن الإيمان هو الإيمان ، وإن اسم الكفر هو الكفر .. فقد أعطوك أن الله جعل الإيمان والكفر ، وصنعهما وخلقهما ، فقد أمكنوك من أنفسهم ، ورجعوا عن قولهم ؛ لأن الاسم غير المسمى ، فإذا جعل الله الأسماء لزمهم [1] أن الأسماء هى الأشياء بعينها ، لا غيرها .

فقد جعل الله أسماءها ، وأسماؤها هى هى ، وليس الاسم شيئاً غير الكفر ، وكذلك الإيمان ليس اسمُه غيره ، فقد جعل الله الكفر والإيمان، وصنعهما وخلقهما .

وإن قالوا : إن اسم الكفر غير الكفر ، واسم الإيمان غير الإيمان ، والكفر المعنى الذى وقع عليه الاسم ، والاسم ليس بكفر ولا إيمان .

فارجع إلى أصل مسألتك، فقل : أليس العباد جعلوا الإيمان غير الكفر، والكفر غير الإيمان ، وهم جعلوا الكفر قبيحاً والإيمان حسناً ، والله لم يجعل ذلك ؟!

ثم ارفعهم إلى ما رفعتم إليه فى صدر المسألة ، فإنهم لن يجدوا مخرجاً ، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿٨٨﴾ ﴾[2].

**رد أحمد بن يحيى :**

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين : قد قلت ما قلت، فاعمل ذهنك فيما يرد عليك من جوابنا ، إن شاء الله .

فإنا نقول لك : إنك قد أقررت، ولزمك أن اسم الكفر هو الكفر، وأن اسم الإيمان هو الإيمان، لا غير ذلك ، زعمت ، وأن الله ، جل ثناؤه ، فى قولك، الذى خلق الكفر والإيمان ، فقد أكذبك الله ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ

---

(١) فى الأصل : لن .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٨ .

(٣) سورة النجم : الآية ٢٣ .

﴿ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1]، أفلا ترى أنه تبرأ من جعل هذه الأسماء التى سموها للأنعام ، وهو ، عز وجل، الذى خلق أجسامها ، لم يتبرأ من خلقها، وإنما تبرأ مما جعلوه هم ، وكفى بهذه حجة، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[2].

فإن زعمت أن الله خلق ذلك من فعلهم ، لزمك أنه الشاتم لنفسه ، والمدعى لها الصواحب والأولاد ، عز الله وتعالى وتقدس عما تقولون .

ومع ذلك أنك من أهل التوحيد ، زعمت ، ونفى التشبيه ، ومعاذ الله، ما يقول ١٠٥ و/ بالتوحيد ولا يحسنه ، ولايسلم من التشبيه العظيم، والكفر الجسيم . / من يقول بالجبر؛ لأنه لزمك، فى قولك، الذى ادعيت من التوحيد ، ما أنا ذاكره ، فافهم ما يحل بك .

أرأيت إن سئل سائل فقال لك : أخبرنا عن الاسم ، اسم الله ، عز وجل ، المعبود الذى تعبده، هل الاسم عندك فيه غير المسمى، أم هو الاسم لا غير ؟!..

فإن قلت : إن الاسم هو المسمى .. لزمك أن « ألف لام لام هاء » الأحرف المخطوطة الموجودة ، هى معبودك الذى توحدُ ، والذى له تصلى وتحفد ، وله تصوم وتسجد!... فتكفر بهذا القول ، عند جميع أهل التوحيد ويلزمك أن معبودك يمحى، فيمتحى ، ويحرق فيحترق ، ويقع عليه الأبوال والأنجاس ، ويقع عليها فلا ينتصر ، ويجئ مرة ويذهب مرة ، وتراه الأعين ، وتدركه الحواس ، ويخط بالأيدى فى الكتب !.. وكفى بهذا بليةً عظمى، وكفر أعمى[3] .

وإن زعمت أن الاسم غيرَ المسمى، لزمك من أصل أذنك ، وأنت راغم الأنف ، مفلوج الحجة أن الذى ادعيت، وقلت به ، واكثرت فيه الخطاب ، من أن الاسم هو المسمى ، أنك قد أبطلت فيه، وأخطأت وافتضحت ، ووجب على أصحابك، بلا شك ولا مرية ، التوبة عن تقليدك أمر دينهم ، ولزمهم أن يلعنوك حياً وميتاً ، وأن

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الكهف : الآيتان ٤ ـ٥ .

(٣) فى الأصل : كفا .. اعما .



obeikandi.com

يفارقوك فى حياتك إن عشت ، يتبرأوا إلى الله ، عز وجل ، مما وضعت لهم ، من الكفر والجهل ، والإ فالنار .

ويلزمك أن الكفر، هو غير الاسم الذى سمى به كفراً ، وأن الإيمان غير الاسم الذى سمى به إيماناً ؛ لأن الاسم غير المسمّى فى جميع الأشياء كلها ، بأوضح دليل وأبين برهان ، فقد ثبت عليك الفلج ، والحمد لله رب العالمين .

وقد بان لنا ، ولأصحابك ، جهلُكَ فى التوحيد ، وصح تشبيهك ، إذ زعمت أن اسم الإيمان ، ليس هو شئ غير الإيمان ، وأن اسم الكفر، ليس هو شئ غير الكفر ، فاستفد أنت وأصحابك ، هذه الفائدة فى التوحيد ، الذى جهلتموه ، كما جهلتم العدل ، واعلموا علماً يقيناً أن التوحيد لا يتم لمعتقده ، **ولا القائل به، إلا بمعرفة القول بالعدل ، والإ فلا يصلح توحيد إلا بعدل** ، ألا ترى كيف أخطأت الخطأ العظيم، فى التوحيد ، ولزمك التشبيه، لما احتججت فى إبطال العدل، بأن الاسمَ هو المسمى ، لا غيره؟!

فلزمك الكفر فى التوحيد ، ففسد عليك اعتقادك ، وما ادعيت من معرفة التوحيد، فشبهت وألحدت ، وبان جهلك وسقطت رئاستك ، وهذه التى جئت بها ، والخطأ أعظم من جبل أحد ، فقد افتضحت وفضحتك ؛ إلا أن ترجع أنت وأصحابك، إلى تعلم العدل والقول به ، وتتوبوا عن الجبر والجهل .

* **ومن الحجة لنا عليك أيضاً فى أن الاسم غير المسمى** ، أن قائلاً لو سمى دنانير ودراهم، وإبلاً وخيلاً ، وقال : هى عندى ، وهو فقير لا دنانير له ، ولا إبل ولا خيل ، ١٠٥ و / لم يحصل معه من تسميته الدنانير والدراهم. / والإبل والخيل، قليل ولا كثير، وكذلك لو قال ، وذكر خبزاً ولحماً وتمراً ، وهو جائع ، لم ينفعه ذلك، ولم يشبعه ؛ لأن الاسم غير المسمى [1] .

وكذلك لو قال : ماء الفرات ، وهو عطشان ، لم يروه اسم الماء ، دون وجود الماء ، فمن ها هنا وجب عليك أن الاسم غير المسمى ، وبطل ما قلت ؛ لأن اسم الله ، عز وجل ، غير الله ، سبحانه ، وهذا اسمه مكتوبٌ فى المصاحف يراه الناس وتحيط به

---

(١) تاتى كثيراً فى الاصل هكذا : المسما .

الأقطار، إذ الاسم أحرف أربعة ، والمسمَّى لا نظير له ولا عديل ، ولا يتجزأ أجزاء ، تبارك وتعالى الواحد الفرد ، الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، **أسماؤه تعبيرٌ وأفعاله تفهيم ، وهو اللطيف الخبير** .

ثم نقول لك : أخبرنا عن قول **أبى جهل بن هشام** ، لعنة الله عليه ، بالتعنيف منه لمحمد ، صلى الله عليه وعلى آله : جاءنا محمد ، زعمتم ، بالإيمان ليدخلنا فيه ، هل قول **أبى جهل**، وتسميته للإيمان ، توجبُ له إيماناً أم لا ؟

فإن قلت : نعم ، إن ذلك القول الذى ذكرته اسم الإيمان، يوجب لأبى جهل إيماناً ، لزمك أنك قد شهدت له بالإيمان ، ووجب عليك أن النبى صلى الله عليه ، قتله ببدرٍ وهو مؤمن ! . . إذا اسم الإيمان هو الإيمان عندك .

وإن قلت : إنك لا توجب **لأبى جهل** تسميته للإيمان إيماناً . رجعت عن قولك وافتضحت عند أصحابك ، ولزمتك التوبة من فريتك على الله ، عز وجل ، وبطلت حجتك .

وكذلك إن قال رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الكفر دين الشيطان . وسمى كفراً ، لزمه ، على قود قولك ، فعل الكفر ! . . وهل تقول ذلك أم لا ؟

فإن قلت : إن الكفر يلزم النبى ، عليه السلام ، حين سمى الكفر كفراً . كفرت بالله ، وأشركت ، وخرجت من الإسلام ، بقولك فى النبى ، صلى الله عليه ، مثل هذا القول .

وإن قلت : لايلزم النبى ، صلى الله عليه ، بتسمية الكفر كفراً ، أنه يكفر . بطلت حجتك ، وانتقض كتابك الذى وضعت لأصحابك ، على **أهل العدل** ، وكفى بهذه فضيحة، وحجة باهرة، والعجيب من أصحابك كيف يقيمون على قولك ، ويعتقدونه ديناً ، تذهب فيه أعمارهم ، بعد هذا البيان ! . .

إلا أنهم اتخذوا دين الله ، جل ثناؤه ، عصبية وحمية، واستكباراً عن الرجوع إلى الحق ، مع قولهم أنهم لا يقدرون على تغيير خلق الله وإرادته ، لما هم عليه ، زعموا ، من المذهب ، وأبطلوا قوله لمحمد ، صلى الله عليه ، : ﴿ وَمَا

﴿ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1] ، فزعموا أن من علم الله منه الكفر والمعصية، أن ١٠٦ و / الله لا يريد منه الإيمان ؛ لأنه إن أراد منه الإيمان ، بطل علمه فى زعمهم ، وقد قال الله ، عز وجل ، / ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[2]، وقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[3] .

وزعم **عبد الله بن يزيد البغدادى** ، ومن قال بقوله من **المجبرة** أن الله ، عز وجل عن قولهم ، لم يصدق فى هذه الآية ، وأنه أراد من قوم الإيمان ، ومن قوم الكفر ... ورد كتاب الله صراحاً بلا حجة ، إلابدعوى فاسدة ، إذا ما قالها الرجال من **أهل العدل** والتوحيد ، وأبطلوها عليهم، وعرفوهم بجهلهم فيها ، مثل ما قد تسمع ، والله يعلم إنا لندع كثيراً من الحجج لكثرتها، وترادفها علينا، وتسابقها إلى جوابنا ، والحمد لله المعز لدينه، والناصر للحق، والموضح لكتابه ، والمذل لمن عانده، وكفر به .

***

**اللطف والعون :**

ثم قال **عبد الله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم مع هذا ، فقل : أرأيتم إذا كانوا هم يجعلون الإيمان والكفر ، أليس الإيمان طاعة، والكفر معصية؟!.. فإذا قالوا : بلى . فقلى : أفليس هم الذين يضعون ذلك، وليس لله ، عز وجل ، فيه صنع؟..

فإن قالوا : نعم . فقل : أفليس أنتم لا تحتاجون إلى الله فيها ، وأنتم أغنياء عن الله فى الطاعة [4] ، ولا إلى عون الله عليها .. ولم يعن الله عليها خلقاً قط ، ولم يحتج خلق قط إلى الله ، والناس مستغنون عن الله فيها ؟!..

فإن أعطوك هذا ، فما أراك أن تزيد ترفعهم إلى أعظم من هذا .

فإن قال قوم : إنا مستغنون عن الله ، عز وجل ، لا نحتاج إلى الله، عز وجل ، فى

---

(١) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٢) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٤) كرر بعدها العبارة السابقة وهو خطأ من الناسخ .

طاعة ، ولا أن يكفنا عن حرمه ، ولم يكف عنها خلقاً ، ولم يلطف ليوسف، حين قال : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[1] ، وأشباه هذا .

فإن أبو إلا أن يتمادوا ، فوقفهم على أنهم لا يحتاجون إلى الله ، عز وجل ، وأنهم مستغنون عن الله ، وسينقطع عليهم هذا الكلام ، حتى لا يجيبوك .

**رد أحمد بن يحيى :**

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : اعلم أنك قد أكثرت التكرار فى هذا الباب ، وذلك لما عندك من العمى والجهل بالدين ، وكلمة من هذا الذى هزأت به تجزئ ، وقد أجبت نفسك عنا ، ببعض قولنا ، ولم تكن أحسنت تحتج فيه فتكسره ، من أن العون عونان لا غيرهما ، عون الدعوة إلى الحق ، والدلالة لنا عليه ، وعون الله ، عز وجل ، لنا بالأسماع والأبصار والاستطاعة المركبة قبل الفعل والألسنة ، وجميع الجوارح ، والصحة والعافية والأبدان . فهذا [2] هو عون الله ، عز وجل، الذى أعاننا به ، وتفضل به علينا ، ولا غناء بنا عنه، فى شئ من ذلك، ولا قوام ١٠٦ ظ/ لنا طرفة عين إلا به ، ولا سبيل / لك إلى وجود عون غيره ، إلاما ادعيت من الجبر ، الذى خالفت به القرآن ، وافتريت به على الرحمن .

وليس عون الله ، عز وجل ، للعباد ، سبباً غير ما ذكرنا ، إلا أن تدعى ، كما ادعيت، أن الله ، عز وجل ، عما تسندون إليه ، أعانهم على فرائضهم ، فقام ببعضها عنهم ، فصلى [3] عنهم بعض الصلوات ، عند اشتغالهم ، وصام عنهم بعض شهر رمضان ، إذا عطشوا أوجاعوا ، وحج عنهم إذا كسلوا عن الحج وتوانوا ، وقاتل المشركين دونهم ، إذا لزموا بيوتهم ، وتخلفوا عن رسول الله ، صلى الله عليه ، أو عن إمام هدى ، فيكون ذلك كما قال المضلون الظالمون من قبلكم : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4] .

فإن كان ما قلت حقاً من العون ، فهذا لعمرك، عونٌ ثالث ، لا نعرف عوناً بعد ماذكرنا غيره؟ . .

---

( ١ ) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

( ٢ ) فى الأصل : فهذه .

( ٣ ) فى الأصل : فصلا .

( ٤ ) سورة المائدة : الآية ٢٤ . أخطا الناسخ فكتبها هكذا : اذهب .

فإن قلت : نعم هذا هو العون الذى عنه سألت ، وهو الذى أريد .

قلنا لك : فقد لزمك الكفر ، والخروج من الإسلام ، بقولك : **إن الله ، عز وجل ، يصلى بعض صلاة الناس ، ويصوم بعض صومهم ، ويحج بعض حجهم ، ويجاهد الأعداء** دونهم ، ويتزكى [1] من أموالهم دونهم [2] ، إذا لم يدفعوا الزكاة إلى الأنبياء وأئمة الهدى ، عليهم السلام ، وكفاك بهذا جهلاً وعمىً وكفراً .

وإن قلت : إنك لا تقول هذا لبيان فساده .. قلنا لك : **فاوجدنا عون الله ، عز وجل ، للعباد** ، على فرضهم الذى افترض عليهم ، أين هو ، وما هو وكيف هو؟!..

**العون الإلهى تفضل الله على عباده :**

**فلا تجد عونه للعباد غير ما ذكرنا ، من تفضله عليهم ، والدعاء إلى الإسلام ، وما وهب لهم من الأسماع والأبصار ، والألسنة والقوة والأيدى والأرجل ، وجميع الجوارح والصحة والعافية** ، والقدرة على أداء الفرض ، بالاستطاعة المركبة فيهم ، فلا سبيل لك إلى وجود عون من الله ، عز وجل ، للعباد على أداء الفرائض ، إلا طرحها عنهم ، أو قيامه ببعضها دونهم ، أو الرجوع إلى القول بالعدل .

كما قلنا ، لابدَّ لك من ذلك ، ولا خلاص لك منه ، وسقط قولك : أنا سنتقطعُ فى مسألتك هذه ، زعمت ، وفرَّحْتَ نفسك وأصحابك بذلك . فدونك الآن ، فخلص نفسك مما وقعت فيه ، ولاخلاص من هذا الذى قلنا لك أبداً ، بوجه من جميع الوجوه ، إلا التوبة والرجوع إلى القول بالعدل .

وأما قولك : إن فينا من يقول : إن الإيمان لا يستطاع إلا بعون حادث ، ١٠٧و/ ولسنا نقول ذلك أيضاً . ذلك قولك ، وقول أصحابك : إن / الاستطاعة ، زعمتم ، مع الفعل ، تحدث بحدوثه ، ولانقول نحن بأمر حادث ، بل فينا الاستطاعة موجودة قبل فعلنا ، ولذلك لزمنا لله ، عز وجل ، الحجة ، وقد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا ، من الرد عليك فى الاستطاعة ، ما فيه أكفى الكفاية ، والحمد لله رب العالمين .

---

( ١ ) مكتوب بجوارها : من اموالهم .

( ٢ ) فى الأصل : يتزكا .

**الحجة على أن الله لم يرد الكفر من الكافرين :**

* ومن الحجة لنا عليك ، فى إبطال قولك الذى زعمت فيه أن الله ، عز وجل ، أراد الكفر من الكافرين ، ما يأتيك من كتاب الله ، عز وجل ، ما يوجب تكذيبكم وبراءته، عز وجل ، من فريتكم عليه ، وهو قوله ، جل ثناؤه ،: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾[1].

فاسمع إلى قوله ، عز وجل ، حيث يقول القائل : ﴿ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ، لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) ﴾، فاسمع إلى جوابه ، عز وجل ، حيث قال : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) ﴾[2].

فلو لم يكن نزل فى العدل ، وبراءة الله ، عز وجل ، من كفر الكافرين، ووضوح شهادة القرآن به ، إنهم اختاروا الكفر ، ولم يُرِدْهُ الله منهم ، لكان فى هذا أكفى الكفاية ، وأوضح البرهان.

وقوله ، عز وجل ،: ﴿ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[3]، وقوله : ﴿ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) ﴾[4] ، أهذا ويحك من أراد الكفر من عباده ، جل عن ذلك رب العالمين ؟!!..

وقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ

---

( ١ ) سورة الزمر : الآيات ٥٣ – ٥٨ .

( ٢ ) سورة الزمر: الآيات ٥٩ – ٦١ .

( ٣ ) سورة الزمر : الآية ٧ .

( ٤ ) سورة يس : الآية ٥٤ .

﴿ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) ﴾[1].

١٠٧ظ/ ويحك أيها الجاهل المغرور ، ألا تسمع إلى هذا القرآن المبين ، وإلى / قوله : ﴿ صْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) ﴾ ، أهذا قول من أراد الكفر منهم ، ثم عنفهم وعاقبهم على فعله ، وعلى ما أراد منهم ؟!..

أهذه صفة الرحيم الحكيم، الذى أخبر الله ، عز وجل ، عن نفسه أنه لا يجور ولا يظلم ، وقال فى كتابه : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨) ﴾[2]، وقوله ، عز وجل، : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾[3]، فهذه الآية مكذِّبةٌ لقولك ، ولمن مضى من قبلك ، ولمن بقى من إخوانك ، إذ صرتم فى الفرية على الله ، جل ثناؤه ، إلى كل باب عظيم، لا تقوم له الجبال ، بمفارقتكم للقرآن صراحاً ، ومجادلتكم بغير القرآن إلا ما تعلقتم به من المتشابه، الذى جهلتم فيه التأويل والمعرفة باللغة العربية ، التى خاطب الله ، جل ثناؤه ، أهلها وفارقتم الحق ، وأبغضتم أهله ، وقد قال الله تبارك وتعالى . ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُم ﴾[4]، وكفى بهذه الآية كلاءة [5] وبياناً ، وقطع عذرٍ ، لمن تخلف عن الحق وأهله ، لو قامت نصفه، أو إعراض عن حمية ، أو قيّمٌ لله ، جل ثناؤه ، بواجبٍ حق ، فبعداً للقوم الظالمين !

## فى تفسير التيسير فى قوله : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ﴾

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ﴾[6]، فنقول لك : ما هذا القول عندك فى قول الله ، عز وجل ، ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) ﴾، أيجوز من فعل عادل، أن يقتل رجلاً فى غير جرم ، وهو الذى أراد قتله ؟!..

---

(١) سورة يس : الآيات ٦٠ – ٦٤ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٨ .
(٣) سورة الأعراف : آية ٢٨ .
(٤) سورة النساء : الآية ٨٣ .
(٥) هكذا فى الأصل .
(٦) سورة عبس : الآيات ١٧ – ٢٠ .

ثم يقول الله : فلاناً ما أشره وما أظلمه ، هل يجوز هذا فى لغة العرب ، أو فى واضح العقول ؟!..

ثم نقول لك على إثر هذا : أحين قالَ ، عز وجل ، : ﴿ **ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ** ﴿٢٠﴾ ﴾، ما معناه فى تيسيره للسبيل ؛ « **أهو إرادته** »[1] لكفره ، أم إرادته لإيمانه؟!..

فإن قلت : هو إرادته لإيمانه .. صدقت ، وقلت الحق ، وهو قولنا ؛ لأن الله ، عز وجل، قد يسر للكفار كلهم السبيل ، ودعاهم إلى الطاعة ، وعرفهم بسبيل التقوى ، ودلهم على النجاة ، فاختاروا الكفر على الإيمان ، ولزمك أن قد **رجعت عن قولك : إن الله أراد الكفر من الكافرين** .

١٠٨ و/ وإن قلت : إن هذا التيسير / من الله ، جل ثناؤه ، للكافرين، إنما هو إلى سبيل الكفر، لا إلى سبيل الرشد .. أكذبك الله ، عز وجل ، بواضح البرهان ، وأبين البيان ، وأقوى السلطان ، بقوله ، تبارك وتعالى ، الذى لم تهتد إليه ، ولم تدبره قط فى ساعة من الساعات : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴿٣﴾ ﴾[2]، فأخبر ، عز وجل ، أنه قد هدى الكافرين والمؤمنين ابتداءً منه ، ومنَّةً ونعمة بغير استحقاق استوجبُوهُ ، **وذلك هدى تعريف ودلالة إلى السبيل، بالكتب والرسل ، لا هداية جبر ولا قسر لواحد من الفريقين** ، وأخبرنا فى هذه الآية أنه قد بدأ الكفار بالدعاء والهداية إلى الإيمان ، وهم على كفرهم ، وهذه سنة الله ، عز وجل ، فى الأولين والآخرين ، أنه يدعوهم إلى دينه ، وذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾** ﴾[3].

فاسمع إلى هذا البيان ، وإلى واضح هذا البرهان ، كيف ذهبت عنه ، وكيف خرجت منه ، وتركته صفحاً ، فلا يبعد الله إلا من ظلم ؟!..

ثم يكذبك بعد هذا جميع **أهل القبلة** بأسرهم أن الله ، عز وجل ، ما عنى بتيسيره

---

( ١ ) زيادة من الهامش .

( ٢ ) سورة الإنسان : الآية ٣ .

( ٣ ) سورة الليل : الايات ١٢ - ٢١

الكفار إلى السبيل، أنه لم يعن بذلك إلا سبيل الهدى والطاعة والرشد ، لا اختلاف بينهم في ذلك ، ومن رده كفر، وقوله ، سبحانه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾[1]، أهذا عندك قول من أراد منهم الكفر ، ثم سيسالهم فيقول : «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً» ، وهو الذى أراد كفرهم ؟!..

سبحان الله العظيم ما أقبح ما قلتم ، وأوضح فساده .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2]، وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[3]، وقول المؤمن فى سورة ياسين: ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4] ، وقوله يخبر عن الكفار : ﴿ .. أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾[5] ، فكل هذه الآيات تشهد على تكذيبك ، وتشهد لله، جل ثناؤه ، بالبراءة مما قلت إنه أراد كفر الكافرين .

***

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨ .
(٢) سورة المدثر : الآية ٤٩ .
(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .
(٤) سورة يس : الآية ٢٣ .
(٥) سورة القصص : الآية ٦٣ .